1007



رسالة أمير المؤمنين
جلالة الملك الحسن الثاني
إلى الأمة الإسلامية
بمناسبة مطلع
القرن الخامس عشر الهجري



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

من عبد الله المعتمد على الله المتوكل
عليه في سره ونجواه أمير المؤمنين
ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين



أعز الله أمره، ورفع قدره، وخلد في الصالحات ذكره، إلى أبنائنا المغاربة خصوصا، وإخواننا المسلمين في جميع أقطار الأرض عموما.

وفقكم الله وهداكم، وجعل فيما فيه رضاه محياكم ومماتكم، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



وبعد فقد شاءت الأقدار الإلهية، والعناية الربانية، أن نحيى وتطول أعمارنا، حتى نشهد فترة حاسمة في تاريخ أمتنا وحياة ملتنا قلما يشهدها الجميع، ألا وهي نهاية القرن الرابع عشر الهجري الذي كان مليئاً بالمكاسب والمغامرات، وبداية القرن الخامس عشر الهجري الذي يلوح في الأفق أنه سيكون مليئاً بالتحديات والمفاجآت، ولا شك أنه ما من أحد من خاصة المسلمين وعامتهم الذين شهدوا هذا الحادث التاريخي السعيد، إلا وهو مدعو للتأمل في الماضي القريب والبعيد، تأملاً دقيقاً، ومطالب بالتفكير في الوضع الحاضر تفكيراً واعياً وعميقاً، إذ بدون مراجعة للماضي وتفكير في الحاضر لا يمكن التطلع إلى آفاق المستقبل، واستشراف ما يتوقع فيه من وقائع وأحداث تنعكس آثارها على مسيرة الإسلام وحياة المسلمين.

وقد أرشدنا كتاب الله إلى أن في تداول الليالي والأيام، فضلاً عن توالي السنين والأعوام، عبراً ومثلاً ينبغي استخلاصهما والاستنارة بهما للسير قدماً إلى الأمام، فقال تعالى "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ



يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً (س. الفرقان 62)، فمن وجد خيراً حمد الله وشكر، ومن وجد غيره تدبر واعتبر، وأصلح ما فرط منه فيما مضى وغبر.

وامتثالاً لما نصت عليه الأحاديث النبوية الشريفة من أن الدين النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وأن النصح لكل مسلم شرط أساسي في صحة الانتماء إلى الإسلام "وأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" وأن كل مسلم ذكراً كان أو أنثى، صغر شأنه أو كبر، يعتبر راعياً ومسؤولاً عن رعيته كل في دائرة اختصاصه ومسؤوليته. وتجديداً لتقليد شريف متعارف عليه منذ عصر أجدادنا المنعمين، ملوك المغرب الميامين، كلما انتهى قرن، وبزغ فجر قرن جديد، رأينا من الواجب علينا، بصفتنا قائداً من قادة المسلمين وأميراً من أمراء المومنين، أن نتوجه في هذه المناسبة التاريخية الفريدة بالنصح الخالص والإرشاد، إلى أبنائنا الأوفياء في هذه البلاد، وإلى إخواننا المومنين الأعزاء في بقية البلاد. بفرض حض كتاب الله كافة المومنين على أن يتواصوا بالحق حتى يتجنبوا الوقوع في



من المال الباطل، وأن يتواصوا بالصبر حتى يواجهوا بعزم وحزم جميع التحديات والأزمات، ولا يبخلوا في سبيل نصرة ملتهم، والدفاع عن أمتهم، ببذل أقصى المجهود وأعظم التضحيات، قال تعالى " وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (س العصر).

معاشر المسلمين

إن من منن الله على خلقه ورحمته بهم أن بعث فيهم سيدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه برسالة إلهية هي خاتمة الرسالات، تهديهم إلى محجة الصواب، وتفتح لهم من وجوه الخير والبر كل باب، فأدى الرسالة، وبلغ الأمانة، وترك من بعده كتاباً محكم الآيات، من تمسك به لم يضل، وسنة وثيقة الأسانيد والروايات، من اقتفى أثرها لم يزل. واقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافته في الأرض فجعل من أولى مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ



أو ضلال بين. وقد امتاز المغرب الإسلامي بتعاقب ملوك بررة جعلوا الحفاظ على الإسلام والدفاع عنه فيما وراء البحار، ونشره فيما جاوره من الأقطار مهمتهم الأولى، وتثبيت تعاليمه في النفوس غايتهم المثلى، ومن بينهم ملوك شهداء من آل البيت الكرام، في طليعتهم أسلافنا الملوك العلويون المنعمون في دار السلام.

ونحن ولاّنا الله أمر هذا الجانب الغربي من دار الإسلام ضاعفنا الجهود لتعزيز جانب الدين في كل حين، ولم ننقطع عن العمل المتواصل لبعث حيويته وتجديد معالمه وإبراز محاسنه للموافقين والمخالفين، اقتداء بصاحب الرسالة وخاتم النبيئين عليه الصلاة والسلام، وإيمانا منا بأن دين الحق لا بد أن يبقى ظاهراً مستمراً على مر الأيام مصداقاً لقوله تعالى "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً" (س الفتح 28).

معاشر المسلمين.

لقد أكرمنا الله بدين متين الأساس راسخ البنيان، صالح لكل زمان ومكان ما من شعيرة من شعائره، ولا شريعة من شرائعه، إلا وهي مؤسسة على تقوى من الله ورضوان، فهو



دين يفهر كرامة الإنسان، ولا يرضى له بالتعرض للذل والهوان وهو دين العلم والحرية، الذي لا يعرف التحجر ولا التعصب، يدعو أتباعه دعوة ملحة إلى تعلم العلوم والفنون واللغات، ويسمح لهم بالتفتح على جميع أنواع الحضارات، إذ بذلك ينالون أسباب القوة والخلود، ويتفادون أخطار الجمود والجحود، وهو دين الوفاء بالعهود، والعدل الوارف الظلال والإحسان الشامل للوجود، وهو دين تقوم تكاليفه على أساس الرفق والتيسير، ورفع الحرج والضرر عن كل تعسير، وهو دين يعامل الناس بالإنصاف والسوية، ويلزم بالشورى بين الراعي والرعية، ويحذر المسلمين من التنازع المؤدي الى الفشل، ويحضهم على وحدة الصف والهدف والعمل، وبالوحدة يجمعون أمرهم، ويتغلبون على الصعاب التي تعترض سيرهم، ويتمكنون من استيناف البناء والتشييد والإصلاح والتجديد، في عالم الإسلام الواسع المديد، وإذا جمعت المسلمين كلمة التوحيد وربطتهم شريعة الإسلام، فلا خوف عليهم من غوائل الدهر، ومفاجآت الأيام. قال تعالى

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ



فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(س الأنعام 153).

معاشر المسلمين

من حقنا أن نحمد الله حمداً كثيراً، ومن واجبنا أن نشكره شكراً جزيلاً على أن جعل ديننا ديناً ملائماً للفطرة القويمة، تستسيغه وتنسجم معه كل الطباع والعقول السليمة، فهو دين يحل جميع "الطيبات" ويجعلها في متناول الإنسان، دون كلفة ولا غنطرية، ولا يحرم عليه - وقاية له - إلا "الخبائث" التي لا يقبلها الطبع ولا تعود عليه بمنفعة حقيقية، وهو دين يعتبر كل عمل صالح وسعي نافع نوعاً ممتازاً من العبادة مادام الهدف من نفس العمل خدمة الفرد والجماعة، وتبادل الإفادة والاستفادة، وهو دين يحث على التفكير في ملك الله وملكوته الواسع الأكناف، ويدعو إلى التدبر في آياته المبثوثة في الكون الشاسع الأطراف، تجديداً لعهد الإيمان، وتمهيداً بأسرار الكون المسخر لمنفعة الإنسان، قال تعالى "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ

الدين القيم" (س الروم 30). وقال تعالى "من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (س النحل 97). وقال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (س الجاثية 13).

معاشر المسلمين

إن من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين، أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا بها شريعة بكرية في مبادئها، ومتفتحة في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل. ففي نطاق مبادئها وقواعدها والمحافظة على روحها يمكن لكل مجتمع أن يبلغ غاية ما يطمح إليه من التطور والنمو، والكمال والسمو. بل كلما تقدمت البشرية خطوة إلى الأمام، وجدت مثل الاسلام العليا سابقة لها متقدمة عليها، تضيء لها الطريق على الدوام

وإنما يتوقف الأمر على من يستوعب نصوصها، ويدرك مقاصدها ويتفهم أسرارها ويأخذ على عاتقه أن يستخرج نفائسها ودررها، ولذلك أمرتم بإعداد مجموعة كافية من العلماء والمفكرين، يكونون مثل سلفهم مستوفين لشروط الاجتهاد والتفكير في أصول الدين، ويكرسون جهودهم لإحياء تراث الإسلام الثمين، وصياغته صياغة جديدة تجعله في خدمة جماهير المسلمين.

فمن واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام العاملين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن يشملوهم بالرعاية الكافية، حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء. كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء. فبالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات ويتصدى بفعالية ونجاح لمواجهة كثير من التحديات وليمارس مسؤولية تطوره ونموه



بنفسه في نكان حضارته، دون أدنى تبعية، ولا ضغوط
خارجية. قال تعالى "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم
يحذرون (س التوبة 122) وقال تعالى "ولتكن منكم أمة
يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات" (س آل عمران 104-105).

معاشر المسلمين

إن الإسلام دين تمتكن فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية،
وهي في مفهومه فردية وجماعية، فما من أحد منا إلا وهو يتحمل
حظا منها يضيق أو يتسع بقدر ما يوضع بين يديه، ويتصرف فيه،
من مرافق خاصة أو عامة، وإن مراقبة الله، والشعور بالمسؤولية
أمام خلقه، لحافز كبير على أداء الحقوق والأمانات إلى أهلها،
ودافع قوي للقيام بالتكاليف والواجبات في وقتها والمبادرة
بتدارك ما فات منها، ولن تؤتي المسؤولية أكلها إلا إذا كان
المسؤول يقدر مسؤوليته حق قدرها، ولا يعتبرها تكليفا

في أمرها، وإلا إذا أعطى القدوة الحسنة من نفسه للقريب والبعيد،
وهيهات أكبر حظا من نشاكه في العمل المبين والقول الصريح، وإن
الخطر كل الخطر في إهمال المسؤولية بعدم حملها، أو وضعها في
أيدي المتطفلين عليها ومن ليسوا من أهلها، إذ بذلك تضيع
الحقوق وتتعرض المصالح المشروعة للإهمال، ويختل نظام المجتمع
ويصاب بالتفكك والانحلال، وعلينا نحن المسلمين كافة، أفرادا
وجماعات، أن نتحمل مسؤوليتنا التاريخية بكل شهامة وحزم،
داخلا وخارجا، حتى يواصل الإسلام سيره دون تراجع ولا
وقوف، ويستعيد سيرته الأولى ومركزه الممتاز في مقدمة الشعوب،
قال تعالى "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنسَانُ (س الأحزاب 72) وقال تعالى "وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ
إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ
وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ" (س النجم 39-40) .

معاشر المسلمين

لقد شرفنا الحق سبحانه وتعالى بأمر عظيم، عندما كلفنا



بهداية أنفسنا وهداية الإنسانية، ودعانا إلى أن نتمسك بالخلق الكريم والسلوك القويم، حتى يصبح كل مسلم إنسانا كاملا في نفسه وأسوة حسنة لعموم البشرية، وعندما أراد أن يجعل أمتنا "خير أمة أخرجت للناس" لم يجعل خيريتها مشتقة من سمو في العرق والجنس والسلالة، إذ لا فضل في الإسلام لآدمي على آدمي إلا بالتقوى، "وكلكم من آدم وآدم من تراب" كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام. وإنما جعل خيرية أمتنا قائمة على مقدار ما تبذله من جهود هادفة في إصلاح شؤون البلاد والعباد وتطهير الأرض من الفساد.

نعم عندما حققت أمة الإسلام في عصرها الذهبي مراد الله منها في إقامة معالم الخير والبر، ونشر ألوية المروءة والفضيلة، وضمان العدل والإحسان لجميع بني الإنسان، استخلفها الله في الأرض، وأصبحت خير الأمم وأعلاها شأنا وأعمها ازدهارا وأوسعها عمرانا، وأقواها نفوذا وأعظمها سلطانا، وقامت تحت ظلها أكبر دولة عرفها التاريخ تمتد من شواطئ المحيط الأطلسي غربا إلى مياه المحيط الهادي شرقا، وأتم الله عليها نعمته،



بجعل أهم الممرات العالمية من مضايق وبواغيز تحت إشرافها ورعايتها، بلا وسيلة للاتصال بين أبناء الانسانية إلا عن طريقها وفي كنفها، وليس في إمكان بقية الأمم أن لا تتعاون معها أو تتجاهلها وتسقطها من الحساب. وهي في سرة العالم وبين يديها مفاتح أهم الممرات والأبواب. كما جعل الحق سبحانه وتعالى تربة أراضيها تربة طيبة مباركة يختلف مناخها من إقليم إلى آخر بتصلح بمجموعها لمختلف صنوف الزرع والنبات في جميع الفصول والأوقات، وادخر بيعها لخير المسلمين ورفاهيتهم وإمداد الانسانية جمعاء أهم ما يتوقف عليه العالم من مواد أولية وكنوز طبيعية وثروات، هذا مع الاتصال الطبيعي والجغرافي المباشر بين كافة أجزائها، مما يعد عاملاً مهماً من العوامل المساعدة على تلاحمها وتضامنها وعلى يسرها ورخائها. وهكذا منح الحق سبحانه وتعالى أمتنا المسلمة من عناصر الخلود والبقاء ما يجعلها أمة حية قوية الكيان، لا تنال منها عوامل الفناء وإن طال الزمان، قال تعالى "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم

بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

(س الأنفال 26) . وقال تعالى " وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ

وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا (س الأحزاب 27) وقال عليه السلام

" إن الله زوى لي الأرض - أي كواها وجمعها - فرأيت

مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها ".

معاشر المسلمين

إذا كان الله تعالى قد امتن على أمتنا الإسلامية أعظم منة ،

بجعل ظهورها على مسرح التاريخ حدّاً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل

التاريخ البشري ، ومنطلقاً لتغيير جذري عميق في خريطة العالم ،

الجغرافية وجغرافياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً ،

وآتاها من فضله أضخم تراث طبيعي مكنوز في جوف الأرض ، وبارز

فوق سطح الأرض ، فما ذلك إلا لنحسن استثماره ، ونتقن الانتفاع

به في كل عصر ، بالوسائل التي تناسب ذلك العصر ، بحيث لا نتركه

هملاً ، ولا نقضي حياتنا سبهللاً ، بل ننتفع به في أنفسنا ، وننفع

به غيرنا . قال تعالى " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ

وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" (س الحجرات 13)

وقال تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين " (س الممتحنة 8).

وإذا كان الله تعالى قد امتن على أمتنا الإسلامية بأزكى تراث روحي وحضاري عرفته البشرية، فما ذلك إلا لنكون أمناء عليه، حماة له من الضياع والنسيان، وما ذلك إلا لتكون حياتنا الخاصة والعامة مرآة ساطعة له في كل حين، وما ذلك إلا لنعمل على تعريفه عطاء كونيا، إلى كل المتشوفين إليه، والراغبين في الاطلاع عليه، من أبناء الأمم الأخرى. قال تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (س الأنبياء 107).

وإذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام، حسبما أدركوه وتصوروه وعلى النحو الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدعونا إلى مواصلة نفس الدور، لكن على نحو جديد وشكل جديد يتناسب مع معطيات هذا العصر، وإن في الإسلام - والفضل لله - لطاقات



زاخرة لا تزال مكنونة لم تستثمر لحد الآن. فما علينا إلا أن نكشف الستار عنها، ونستثمرها أفضل استثمار، لخير أمتنا وخير الإنسانية جمعاء، وأنها لكفيلة بصنع المعجزات وتفريخ أروع المنجزات. قال تعالى " نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ" (س القمر 35). وقال تعالى " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" (س ابراهيم 7).

معاشر المسلمين

إذا أردنا تدارك ما فات، والتغلب على المصاعب والأزمات، فعلينا أفرادا وجماعات، أن نستعمل رصيدنا من الوقت أحسن استعمال، في جميع الظروف والأحوال فمن لم يعمر الوقت بوضع لبنات جديدة في صرح الحضارة والعمران، واتكل على جهود من سبقوه من بني الإنسان، ولم يحاول أن يكون في تفرغ مستمر، بفضل ما فاته العبقرية وما فرط فيه من الوقت، لم يلبث إلا قليلا حتى يصبح في تأخر متزايد يهوي به إلى الهاوية. إذ الإنسان في هذه الحياة سائر لا واقف، فإما أن يتجه إلى أمام، وإما أن يتجه إلى وراء، إما أن يصعد إلى أعلى، وإما أن ينزل إلى أسفل.



وكما قال أحد حكماء العلماء: "ليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة، ما هي إلا مراحل تكون كيانا، بسرع ويبطئ، ويتقدم ويتأخر، وإنما يتخالف الناس في جهة المسير، وفي السرعة والبطء، وليس في الدين واقف، اللهم إلا إذا كان الوقوف لجمع الاستجماع، والعودة للسير مع التركيز إلى الأمام، قال تعالى: في محكم كتابه " وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ" (س المدثر 32 - 38)

معاشر المسلمين

إن الدين إلى مكان الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة الإسلامية لا يحول بينها وبينه حائل، لكن يلزم لضمان ذلك أن لا تقتصر عنايتها على الجانب المادي وحده، وعليها أن توجه حظا كافيا من اهتمامها إلى الحفاظ على تلاحم الأسرة المسلمة وحمايتها من عوامل التفكك والانحلال، وأن تعيد للتربية الدينية والخلقية ما كان لها من الاعتبار



والأهمية في تنشئة الأجيال، وأن تجعل من الأم المسلمة أماً مثالية تعتز بأن تكون هي المربية الأولى للناشئة والأطفال براءة لربهما، وإخلاصاً لوطنهما، وأن تجعل من المدرسة والكلية والجامعة - إلى جانب المسجد - الملتقى المفضل والرائد للعلم والإيمان، وأن تتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن تزيل من كيان التضامن الإسلامي الكامل والشامل كل ما يعرضه للانتكاس والاختلال، وأن تقبل على حل مشاكلها الكثيرة والمزمنة بجرأة وواقعية وتحكيم، بدلاً من اللامبالاة والإهمال والارتجال.

وستجد في تراثها الروحي والحضاري الخالد ما يعينها على طرح هذه المشاكل طرحاً واضحاً معقولاً، وحلها حلاً إسلامياً مرضياً ومقبولاً، ولا غرابة في ذلك، ما دام ديننا الحنيف هو دين الحق وأمتنا المسلمة هي "أمة الحق" بشهادة قول الله تعالى في محكم كتابه "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ" (س الفتح 28) وقوله تعالى في منزل خطابه "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" (س الأعراف 181).



ولعل أجمع وأنفع وصية يوصي بها كل مسلم أخاه في بداية القرن الجديد هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا، ألا وهو طابع الاعتدال والوسطية، المنافي لكل إسراف وشطط، والمترفع عن كل تهور وغلو. ففي نطاق المبدأ الإسلامي "الوسطية" والحق العلمي "الوسطية" لا كبت ولا إباحية، وإنما علاقات شرعية أخلاقية، وفي نطاق المبدأ الإسلامي "الوسطية" لا محل للإسراف والتبذير، كما أنه لا محل للشح والتقتير، ولا محل للغنى الفاحش، كما أنه لا محل للفقر المدقع، ولا محل للفوضى، كما أنه لا محل للاستبداد، ولا محل للغلو في الدين، كما أنه لا محل للتطاول على قداسة الدين ولا محل لطغيان مطالب الروح على مطالب الجسد، كما أنه لا محل لطغيان مطالب الجسد على مطالب الروح.

وحيث ان "الأمة الوسطى" هي الأمة المثالية التي تقوم الحياة فيها على قاعدة التوازن والانسجام، والتكامل والتناسق التام، فقد اختار الله لنا أن نكون "أمة وسطاً" رحمة بنا، وحفاظاً



على وحدتنا وأصالتنا وضمانا لاستمرار حياتنا، وحماية لنا من
أخطار التشرذم التي قد تهددنا. فقال تعالى "قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (س البقرة - 142-143)

معاشر المسلمين

لنتوجه إلى الله العلي القدير - ونحن في مفتتح هذه المرحلة
الجديدة من تاريخ أمتنا - سائلين منه سبحانه أن يمنحنا نعمة
السداد والتوفيق وأن يسلك بنا وبالإنسانية جمعاء أقوم طريق،
ولنستقبل هذه الحقبة الجديدة من حياتنا بكل اطمئنان وتفاؤل،
ولنعمل على تصفية ما يبدو في الجو من بعض الغيوم العابرة،
بإحياء روح التآخي والتواصل، وأن خير ما نستقبل به هذا
القرن الجديد، هو الاجتماع على كلمة سواء تجعل منا بحق أمة
الوحدة والتوحيد. قال تعالى "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (س الأنبياء 92). ولنعقد العزم
على تأدية رسالتنا، بأداء حقوق الله وحقوق العباد، وعون



عشاق الحرية على التحرر والخلاص في كافة أرجاء البلاد، ولاسيما إخواننا الأماجد من أبناء شعب فلسطين المجاهد، وقبلتنا الأولى وقرسنا الشريف الخالد، ولنقف على قدم الاستعداد، بكل مايلزم من العزم والعتاد واثقين بحقنا، متمسكين في نفس الوقت بديننا، معتزين بحضارتنا، حريصين على حفظ مقوماتها والدفاع عن كياننا، ملتزمين في حياتنا اليومية بآداب عقيدتنا وتعاليم شريعتنا ولنتسلح لمواجهة مسؤولياتنا الثقيلة والمتنوعة في هذا العصر باكتساب القوة الفكرية التي هي " قوة العلم" وأدوات القوة المادية التي هي " قوة السلاح" وكفاءات القوة الروحية التي هي " قوة الأخلاق". ولنجعل شعارنا اليومي الدائم " العلم النافع، والعمل الصالح والإنتاج المستمر، والكسب المشروع، والمرفق المكرم، والتنافس المحمود، والسير الدائم إلى الأمام، وضرب المثل لبقية الأقوام"، ولنحول دنيا الإسلام الواسعة التي لا تغيب عنها الشمس إلى " مسجد كبير" نعبد الله جميعا في محرابه، ونقوم فيه بالخلافة عن الله في الأرض، كل مصداقا لما جاء في كتابه، كل بقدر ما آتاه الله من علم وفهم وخبرة وتجربة، وما

وهبه من مواهب فطرية ومكتسبة. ولنكن معاشر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في مستوى مسؤوليات هذا القرن الجديد، ولنجعل منه حلقة ذهبية في سلسلة تاريخ الإسلام المجيد، وعلينا أن نتخذ كتاب الله في جميع خطواتنا دستوراً ورائداً، ونجعل رسوله المصطفى إماماً وقائداً، وبذلك نعود إلى صفاء الإسلام الصحيح ونربط الماضي بالحاضر، ونعد الحاضر للمستقبل، ونفتح صفحة أخرى بيضاء نقية في تاريخ أمتنا وتاريخ البشرية قال تعالى "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ" (س محمد 2). وقال تعالى "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (س. فصلت 33).
وقال تعالى "قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (س يوسف 108)
والسلام على أبنائي المسلمين وإخواني المسلمين في كل مكان ورحمة الله وبركاته. وحرر بفاس يوم الأحد فاتح محرم عام 1401 الموافق 9 نونبر سنة 1980.